وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ
أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ
فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۢ ﴿٥٥﴾
سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾
عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ
وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾
أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾
فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ
وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ
ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ
مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾
٥٣١

معانى الكلمات :

واحدة : مرة واحدة .

كلمح : كالنظر الخفيف السريع .

أشياعكم : أمثالكم .

مستطر : مكتوب فى اللوح المحفوظ .

بحسبان : بحساب مقدر .

الأكمام : أوعية التمر وهى الطلع .

العصف : القشر .

مارج : لهب صاف لا دخان فيه .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم صورة المتقين وهم يرفلون فى نعيم الآخرة .

٢ ـ أن نتعرف على آلاء الله فى الكيان الإنسانى .

٣ ـ أن نتعرف على آلاء الله فى المعرض الكونى العام .

المحتوى التربوى :

مع التقدير والتدبير القدرة التى تفعل أعظم الأحداث بأيسر الإشارات ، فهى إشارة واحدة أو كلمة واحدة يتم بها كل أمر : الجليل والصغير على السواء ، وليس هناك جليل ولا صغير وإنما ذلك تقدير البشر للأشياء ، وليس هنالك زمن ولا ما يعادل لمح البصر إنما هو تشبيه لتقريب الأمر إلى حس البشر ، فالزمن إن هو إلا تصور بشرى ولا وجود له فى حساب الله المطلق .

وهذه مصارع المكذبين أمثالهم معروضة فى هذه السورة فهل من معتبر ؟ ولم ينته حسابهم بمصارعهم الأليمة ، فوراءهم حساب لا يفلت منه شىء ، وكل ما فعلوه مسطر فى الصحائف ليوم الحساب ، لا ينسى منه شىء وهو مسطور فى كتاب .

ويعرض السياق صورة أخرى فى ظل وادع أمين ، صورة المتقين ، بينما المجرمون فى ضلال وسعر ، يسحبون فى النار على وجوههم مهانة وذلا ، ويلذعون بالتأنيب كما يلذعون بالسعير ، وهى صورة للنعيم بطرفيه ، نعيم الحس والجوارح فى تعبير جامع شامل وفى جنات ونهر ونعيم القلب والروح ، نعيم القرب والتكريم ، فهو فى مقعد ثابت مطمئن ، قريب كريم ، مأنوس بالقرب ، مطمئن بالتمكين ، ذلك أنهم المتقون الخائفون المترقبون ، والله لا يجمع على نفس خوفين : خوفها منه فى الدنيا ، وخوفها يوم القيامة ، فمن اتقاه فى العاجلة أمنه فى الآجلة .

سورة الرحمن

تبدأ السورة بإيقاع صاعد ذاهب إلى بعيد ، يجلجل فى طباق الوجود ، ويخاطب كل موجود ، ويبلغ إلى كل سمع وكل قلب ، فالله الرحمن يخبر عن فضله ورحمته بأنه علم القرآن ، هذه النعمة الكبرى التى تتجلى فيها رحمة الرحمن بالإنسان القرآن ، والقرآن الذى يفتح حواسهم ومشاعرهم على هذا الكون الجميل ، القرآن الذى يقر فى أخلادهم أنهم خلفاء فى الأرض ، أنهم كرام على الله وأنهم حملة الأمانة التى أشفقت منها السموات والأرض والجبال ، فيشعرهم بقيمتهم التى يستمدونها من تحقيق إنسانيتهم العليا ، بوسيلتها الوحيدة الإيمان الذى يحيى فى أرواحهم نفخة الله ، ويحقق نعمته الكبرى على الإنسان ، ومن ثم قدم تعليم القرآن على خلق الإنسان ، فيه يتحقق فى هذا الكائن معنى الإنسان .

وندع مؤقتا خلق الإنسان ابتداء فسيأتى ذكر فى مكانه فى السورة بعد قليل ، إذا المقصود من ذكره هنا هو ما تلاه من تعليمه البيان ، فإننا نرى الإنسان ينطق ويعبر ويبين ، ويتفاهم ويتجاوب مع الآخرين فتنسى بطول الألفة عظمة هذه الهبة ، وضخامة هذه الخارقة فيردنا القرآن إليها ، ويوقظنا لتدبرها فى مواضع شتى ، ثم يستطرد فى بيان آلاء الرحمن فى المعرض الكونى العام ، حيث تتجلى دقة التقدير فى تنسيق التكوين والحركة بما يملأ القلب روعة ودهشة، وشعوراً بضخامة هذه الإشارة ، وما فى طياتها من حقائق بعيدة الآماد عميقة الأغوار ، فالشمس والقمر يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب .

وقد كانت الإشارة السابقة إلى الحساب والتقدير فى بناء الكون الكبير ، فأما هذه فهى إشارة إلى اتجاه هذا الكون وارتباطه ، وهى إشارة موحية إلى حقيقة هاوية ، فهذا الوجود مرتبط ارتباط العبودية والعبادة بمصدره الأول وخالقه المبدع ، والنجم والشجر نموذجان منه يدلان على اتجاهه كله ، والقرآن يقول : أنه يتجه إلى مبدعه بحركة روحه ـ وهى الحركة الأصلية فحركة ظاهرة لا تكون إلا تعبيرًا عن حركة روحه ، وهى الحركة التى تمثلها فى القرآن آيات كثيرة ، وتأمل هذه الحقيقة ومتابعة الكون فى عبادته وتسبيح مما يمنح القلب البشرى متاعا عجيبا ، وهو

يشعر بكل ما حوله حيا يعاطفه ويتجه معه إلى خالقه وهو فى وقفته بين أرواح الأشياء كلها ، وهى تدب فيها جميعا ، وتحيلها إخوانا له ورفقاء .

وتأتى الإشارة إلى السماء تقصد إلى تنبيه القلب الغافل ، وإنقاذه من بلادة الألفة ، وإيقاظه لعظمة هذا الكون وتناسقه وجماله ، وإلى قدرة اليد التى أبدعته ، والإشارة إلى السماء توجه النظر إلى أعلى ، وإلى جوار هذه العظمة فى رفع هذه السماء الهائلة الوسيعة وضع ميزان الحق ، وضعه ثابتاً راسخا مستقراً ، وضعه لتقدير القيم ؛ قيم الأشخاص والأحداث والأشياء كى لا تختل ولا تضطرب ، وضع الميزان حتى لا تغالى ولا تفرط ومن ثم يستقر الوزن بالقسط بلا طغيان ولا خسران .

وكما رفع السماء وضع الأرض ومهدها فأرساها بالجبال الراسيات الشامخات ؛ لتستقر لما على وجهها من الأنام ، وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم من سائر أقطارها وأرجائها ؛ فيها فاكهة مختلفة الألوان والطعوم والروائح ، ويخص منها النخل ذات الأكمام ، والكم : كيس الطلع الذى ينشأ الثمر ، ليشير إلى جمال هيئتها بجانب فائدة ثمرتها ، ويذكر منها الحب ذا الورق والسيقان التى تعصف وتصبر طعاما للماشية ، ويذكر منها الريحان، النبات ذا الرائحة ، ويهتف القرآن بالجن والإنسان فى مواجهة الكون وأهل الكون ، بسؤال هو للتسجيل والإشهاد ، فما يملك إنس ولا جان أن يكذب بآلاء الرحمن فى مثل هذا المقام .

ثم ينتقل من الامتنان عليهما بآلاء الله فى الكون ، إلى الامتنان عليهما بآلائه عليهما فى ذوات أنفسهما وفى خاصة وجودهما وإنشائهما ، ونعمة الإيجاد والإنشاء أصل النعمة ، ويقرر الحق سبحانه مادة خلق الإنس والجن ، وهى كذلك من خلق الله ، والصلصال : الطين إذ يبس وصار له صوت وصلصلة عند الضرب عليه ، وقد تكون هذه حلقة فى سلسلة النشأة من الطين أو من التراب ، وخلق الجان من لهب النار من أحسنها ، وللجان قدرة على الحياة فى هذه الأرض مع الإنس ، ولكنا لا ندرى كيف يعيش الجان وقبيله ، والخطاب هنا للجن والإنس لتذكيرهم بنعمة الوجود ، كل من الأصل الذى أنشأه الله منه ، وهى النعمة التى تقوم عليها سائر النعم ، ومن ثم يعقب عليها بتعقيب التسجيل والإشهاد العام ، فما يملك أحد أن يكذب بآلاء الرحمن فى مثل هذا المقام .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ المتقون يجمع الله لهم فى الآخرة بين نعيم الحس والجوارح .

٢ ـ القرآن من أهم النعم وأفضلها ، وعلى الإنسان شكرها بتلاوته والعمل بما فيه .

٣ ـ الوجود كله مرتبط بالعبودية لله تعالى خاضع لأمره، وقد أوجب الله العدل وحرم الظلم.

سورة الرحمن

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾
مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ
﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ
وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ
أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ
إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ
﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ
إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

٥٣٢

معانى الكلمات :

مرج البحرين : أرسل العذب والملح مجاريهما .

برزخ: حاجز أرضى أو حاجز من قدرته .

يبغيان : يطغى أحدهما على الآخر بالامتزاج .

الجوار : السنن الجارية .

شواظ : لهب خالص لا دخان فيه .

نحاس : صُفر مذاب أو دخان بلا لهب .

كالدهان : كدهن الزيت فى الذوبان .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على مظاهر قدرة الله تعالى .

٢ ـ أن نعلم أن الوجود المطلق لله تعالى .

٣ ـ أن نعلم عجز الخلائق أمام خالقها عز وجل .

المحتوى التربوى :

تجيء الإشارة التى تملأ القلب بفيض غامر من الشعور بوجود الله ، حيثما توجه ، وحيثما تلفت ، وحيثما امتد به النظر حوله فى الآفاق ، فحيث الشروق والغروب وحيث الغروب هناك الله ، ربوبيته ومشيئته وسلطانه ، ونوره وتوجيهه وهدايته ، وربوبية الله للمشرقين والمغربين بعض آلائه فى هذا الكون ، ومن ثم يجيء التعجيب المعهود فى السورة بعد هذه اللفتة القصيرة ، والمشرقان والمغربان فوق أنهما من آيات الله هما من آلاء الله على الجن والإنس ، بما يتحقق فيهما من الخير لسكان هذه الأرض جميعا ، بل من أسباب الحياة التى تنشأ مع الشروق ، وتحتاج كذلك الغروب ، ولو اختل أحدهما أو كلاهما لتعطلت أسباب الحياة .

ويعود السياق إلى الأرض ، وما فيها من ماء ، جعله الله بقدر أو قدر فى نوعه وقدر فى تصريفه وقدر فى الانتفاع به ، والبحران المشار إليهما هم البحر المالح والبحر العذب ، ويشمل

الأول البحار والمحيطات ، ويشمل الثانى الأنهار ، ومرج البحرين أرسلهما وتركهما يلتقيان ، ولكنها لا يبغيان ، ولا يتجاوز كل منهما حده المقدر ، ووظيفته المقسومة ، وبينهما برزخ من طبيعتهما من صنع الله ؛ ولا عجب يذكر البحرين وما بينهما من برزخ فى مجالا الآلاء ، ثم يذكر من آلاء الله فى البحرين بعض ما هو قريب منهم فى حياتهم ، واللؤلؤ فى أصله حيوان والمرجان قيل : صغار اللؤلؤ وقيل : كباره وجيده، ومن اللؤلؤ والمرجان تتخذ حلى غالية الثمن عالية القيمة ، ويمتن الله على عباده بها ، فيعقب على ذكرهما فى السورة ذلك التعقيب المشهود ، فما أحد ينكر آلاء ، ثم ينتقل إلى الفلك التى تجرى فى البحار كأنها لضخامتها الجبال ، ويجعل هذه الجوارى المنشآت له سبحانه وتعالى فهى تجرى بقدرته ، ولا يحفظها فى خضم البحر إلا حفظه ، وهذا أمر يصعب التكذيب به والإنكار .

وينتقل السياق إلى طى صفحة الكون الفانى ، وظل الفناء يشمل كل حى ، ويطوى كل حركة، ويغمر آفاق السموات والأرض، وجلال الوجه الكريم الباقى يظلل النفوس والجوارح، والزمان والمكان ، ويغمر الوجود كله بالجلال والوقار ، ويعقب على هذه اللمسة العميقة الأثر بنفس التعقيب ، فبعد استقرار هذه الحقيقة نعمة يواجه بها الجن والإنس فى معرض الآلاء .

ومن حقيقة البقاء الدائم وراء الخلق الفانى تنبثق حقيقة أخرى ؛ فكل أبناء الفناء إنما يتجهون فى كل ما يقوم بوجودهم إلى الواحد الأحد الفرد الصمد الحى القيوم ، يسأله من فى السموات والأرض ، فهو مناط السؤال ، وغيره لا يسأل ؛ لأنه فان لا يتعلق به سؤال ، يسألونه وهو وحده الذى يستجيب وقاصده وحده هو الذى لا يخيب ، وما يتجه أحد إلى سواه إلا حين يضل عن مناط السؤال ومعقد الرجاء ومظنة الجواب ، وماذا يملك الفانى للفانى، وماذا يملك المحتاج للمحتاج ؟

وهو سبحانه كل يوم فى شأن ، هذا الوجود الذى لا تعرف له حدود كله منوط بقدره ، متعلق بمشيئته ، وهو قائم بتدبيره ، هذا التدبير الذى يتناول الوجود كله ، وصاحب التدبير لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يند عن علمه ظاهر ولا خاف ، ومن هذا الشأن شأن العباد فى الأرض من إنس وجن ، ومن ثم فهو يواجهها بهذه النعمة مواجهة التسجيل والإشهاد التى يصعب معها الإنكار .

وينتقل السياق فيه تهديد وفيه وعيد ، تهديد مرعب مفزع ووعيد مزلزل مضعضع تمهيداً لهول القيامة الذى يطالع الثقلين فى سياق السورة بعد ذاك ، فيا للهول المرعب الذى لا يثبت له إنس ولا جان ولا تقف له الجبال الرواسى ولا النجوم والأفلاك ، فالله جل جلاله ، الله القوى القادر ، القهار الجبار ، الكبير المتعال ، والله سبحانه يفرغ لحساب هذين الخلقين الضعيفين الصغيرين الجن والإنس فى وعيد وانتقام ، إنه أمر ، إنه هول ، إنه فوق كل تصور واحتمال ، والله سبحانه ليس مشغولاً فيفرغ ، وإنما هو تقريب للتصور البشرى ، وفى ظل هذا الهول الرعيب يسأل الثقلين المسكينين هل لهما أن ينكرا نعمة الله .

ثم يمضى فى الإيقاع المرعب المزلزل ، يتحداهما أن ينفذا من أقطار السموات والأرض ، وكيف وأين ؟ ولا يملك السلطان إلا صاحب السلطان ، ومرة أخرى يواجههما بالسؤال : أيقع فى قدرتهما التكذيب بنعم الله ، وهل بقى فى كيانهما شىء يكذب أو يهم بمجرد النطق والبيان ؟ ! ولكن الحملة الساحقة تستمر إلى نهايتها، والتهديد الرعيب يلاحقهما، والمصير المردى يتمثل لهما، والشواظ : لهب النار ، والنحاس ؛ دخان النار ، ولو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ويأتى التعقيب الذى ينزع الاعتراف بآلاء الله .

وتبدأ مشاهد اليوم الآخر بمشهد كونى يتناسب مع مطالع السورة ومجالها الكونى ، وتبدأ بانشقاق السماء يوم القيامة ، فتذوب كما يذوب الدردى والفضة فى السبك ، وتتلون كما تتلون الأصباغ التى يدهن بها ، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم ، ومجموع الآيات التى وردت فى صفة الكون يوم القيامة تشير كلها إلى وقوع دمار كامل فى هذه الأفلاك والكواكب ، بعد انفلاتها من النسق الذى يحكمها الآن ، وينسق بين مداراتها وحركاتها ، وهذا الحادث الهائل الذى سيقع فى الكون كله لا يعلم حقيقته إلا الله ، ولا تكذيب عندئذ ولا نكران .

وفى يوم القيامة لا يفتح باب المعذرة ، ولا يسأل أحد عما قدم ، وذلك فى موقف من مواقف ذلك اليوم المشهود ، الذى ستكون فيه مواقف شتى ، منها ما يسأل فيه العباد ، ومنها ما لا يسألون فيه عن شىء ، ومنها ما تجادل كل نفس عن نفسها ، وما تلقى به التبعة على شركائها ، ومنها ما لا يسمع فيه بكلمة ولا جدال ولا خصام ، فهو يوم طويل مديد ، وكل موقف من مواقفه هائل مشهود ، وهنا موقف : لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ؛ ذلك حين تعرف صفة كل فرد وعمله ، وتبدو فى الوجوه معالم الشقوة سوادًا ، ومعالم النجوة بياضا ، ويظهر هذا وذاك فى سيما الوجوه ، ففى هذا الموقف هل من تكذيب ونكران .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ من نعم الله تعالى : الماء المالح فهو أصل الحياة ، به استمرارها ، ومنه الحلى والزينة ، وفيه تسير السفن التى تحمل الناس والمتاع .

٢ ـ هذا الكون كله سوف يفنى ولا يبقى إلا خالقه العظيم ، ثم يكون البعث للحساب والجزاء على ما قدم فى الدنيا .

٣ ـ الله تبارك وتعالى هو صاحب التدبير وبيده الأمر كله ، ولا يشغله شأن عن شأن .

يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

٥٣٣

معانى الكلمات :

بسيماهم : بسواد الوجوه وزرقة العيون .

بالنواصى : بشعور مقدم الرؤوس .

أفنان : أغصان ، أو أنواع الثمار .

إستبرق : غليظ الديباج .

يطمثهن : يفتضهن .

مدهامتان : خضراوان شديدتا الخضرة .

نضاختان : فوارتان بالماء لا تنقطعان .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم سوء مصير المجرمين يوم القيامة وأنهم فى ذلة ومهانة وعذاب بئيس .

٢ ـ أن نعلم ما يكون فى الآخرة من ثواب للمتقين حسب درجات كل منهم فى الجنة .

٣ ـ أن نتعلم كيف نعيش بين الخوف والرجاء .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق يعرض مشاهد يوم القيامة ذلك اليوم المشهود ، وهو مشهد عنيف ، ومع العنف الهوان ؛ حيث تجمع الأقدام إلى الجباه ، ثم يقذف المجرمون على هذه الهيئة إلى النار ، فهل حينذلك من تكذيب أو نكران ؟

وبينما المشهد معروض ، والأخذ بالنواصى والأقدام والقذف فى النار مستمر ، يلتفت السياق إلى شهود هذا الاستعراض ، وكأنهم حاضرون عند تلاوة السورة فيقول لهم :إن جهنم هذه هى حاضرة معروضة، يطوفون بينها وبين الحميم وهو متناه فى الحرارة كأنه الطعام الناضج على النار،

وهم يتراوحون بين جهنم وبين هذا السائل الآنى ، انظروا إنهم يطوفون الآن ، وينتزع الاعتراف الذى لا ينكر نعمة من نعم الله تعالى .

هذه صفة العذاب الأليم ، والآن إلى صفة النعيم والتكريم ، وللمرة الأولى تذكر الجنتان ، والأظهر أنهما ضمن الجنة الكبيرة ، ولكن اختصاصهما هنا بالذكر قد يكون لمرتبتهما ، وسيأتى فى سورة الواقعة أن أصحاب الجنة فريقان كبيران هما السابقون المقربون ، وأصحاب اليمين ، ولكل منهما نعيم ، فهنا كذلك نلمح أن هاتين الجنتين هم لفريق ذى مرتبة عالية ، وقد يكون فريق السابقين المقربين المذكورين فى سورة الواقعة ، ثم نرى جنتين أخريين من دون هاتين ، ونلمح أنهما لفريق يلى ذلك الفريق وقد يكون هو فريق أصحاب اليمين .

على أية حال فلنشهد الجنتين الأوليين، ولنعش فيهما لحظات: إنهما ذواتا أغصان صغيرة ندية، فهما ريانتان نضرتان ، فيهما عينان ماؤهما غزير ، وسهل يسير ، وفاكهتهما متنوعة كثيرة وفيرة .

وأهل الجنتين ما حالهم ؟ إننا ننظرهم : متكئين على فرش بطائنها من الديباج المزين بالذهب ، فنبة على شرف الطهارة بشرف البطانة ، وهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى ، وقد ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر ، وعلى الظواهر المحابس ، ولا يعلم ما تحت المحابس إلا الله ، وثمر الجنتين قريب إليهم متى شاؤوا تناولوه على أى صفة كانوا ، فلا يتعبون فى قطاف .

ولكن هذا لا يستقصى ما فيهما من رفاهة ومتاع ، فهناك بقية لهذا المتاع ، فلما ذكر الفرش وعظمتها ذكر أن فى الفرش قاصرات يغضضن الطرف عن غير أزواجهن ، فلا يرين شيئا أحسن فى الجنة من أزواجهن ، وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها : والله ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك ، ولا فى الجنة شيء أحب إلىّ منك ، فالحمد لله الذى جعلك لى وجعلنى لك ، فهنّ لا تمتد أبصارهن إلى غير أصحابهن ، مصونات لم يمسسهن إنس ولا جان ، بل هن أبكار عرب أتراب ، لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن .

وهنَّ بعد ذلك ناضرات لامعات كأنهن فى صفاء الياقوت وبياض المرجان ، ذلك كله جزاء من خاف مقام ربه وعبده كأنه يراه ، شاعراً أن ربه يراه ، فبلغ بذلك مرتبة الإحسان كما وصفها رسول الله ﷺ ، فنالوا جزاء الإحسان عن عطاء الرحمن ، وفى معرض الإنعام والإحسان كان التعقيب يجيء فى موضعه بعد كل فقرة . وينتقل السياق إلى الفريق الآخر صاحب الجنتين الأخريين ، وأوصافهما أدنى من الجنتين السابقتين فهما مخضرتان خضرة تميل إلى السواد لما فيهما من أعشاب ، وفيهما عينان فياضتان والجرى أقوى من النضخ ، وهما ممتلئتان لا تنقطعان .

والسياق الذى وردت فيه الآيات يجمع على العبد الخوف والرجاء ؛ الخوف من وعيد الله وعذاب المجرمين ، والرجاء فى نعيم الله العميم ، وهذا ما يلزم صاحب الإيمان فى إيمانه .

يقول ابن القيم فى طريق الهجرتين : « إن الخوف أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التى عليها مدار مقامات السالكين جميعها وهى : الخوف والرجاء والمحبة .. وكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف ، ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به ، فأعرف الناس أخشاهم لله ، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه ، وخوفه له ، وحبه له ، وكلما ازداد معرفة ازداد حياء وخوفا وحبا ، فالخوف من أجلِّ منازل الطريق ،وخوف الخاصة أعظم من خوف العامة ، وهم إليه أحوج وهو بهم أليق ، ولهم ألزم ، فإن العبد إما أن يكون مستقيما أو مائلا عن الاستقامة فإن كان مائلا عن الاستقامة فخوفه من العقوبة على ميله ، ولا يصح الإيمان بهذا الخوف .

وهو ينشأ من ثلاثة أمور :

أحدها : معرفته بالجناية وقبحها .

والثانى : تصديق الوعيد وأن الله رتب على المعصية عقوبتها .

والثالث : أنه لا يعلم لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب .

وبالجملة فمن استقر فى قلبه ذكر الدار الآخرة وجزاؤها ، وذكر المعصية والتوعد عليها ، وعدم الوثوق بإتيانه بالتوبة النصوح هاج فى قلبه من الخوف ما لا يمكله ولا يفارقه حتى ينجو ، وأما إن كان مستقيما مع الله فخوفه يكون مع جريان الأنفاس ، لعلمه بأن الله مقلب القلوب ، وما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل ، فإن شاء أن يقيمه أقامه ، وإن شاء أن يزيغه أزاغه كما ثبت عن النبى ﷺ . فأى قرار لمن هذا حاله ؟ ومن أحق بالخوف منه ؟ » .

والخوف باب العمل ، والعمل باب الرجاء ، ولكل مرتقى سلم ، ومن أراد النجاة من العذاب والفوز بالجنات فعليه بسلم الخوف والرجاء فهو طريق الوصول .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الجنة درجات متفاوتة فى نعيمها ، وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين .

٢ ـ الذلة والمهانة موسوم بهما الكافرون يوم القيامة .

٣ ـ من أراد الجنة والبعد عن النار فعليه بالعمل الذى يبعده عن جهنم ويقربه من الجنة .

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحزب ٥٤

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ
﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾
فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾
فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ
﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

٥٣٤

معانى الكلمات :

خيرات حسان : خيرات الأخلاق حسان الوجوه .

حور : نساء بيض حسان .

رفرف : وسائد أو فرش مرتفعة .

عبقرى : بسط ذات خمل رقيق .

رجت : زلزلت وحركت تحريكا بشدة .

بست : فتتت .

هباء منبثا : غباراً متفرقاً منتشرا .

موضونة : منسوجة من الذهب بإحكام .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ـ أن نعلم أن استعراض آيات الكون وآيات القرآن يؤدى إلى تسبيح وطاعة الجليل سبحانه.

٢ ـ أن نتعرف على صفة القيامة .

٣ ـ أن نعلم مصائر الأزواج الثلاثة السابقين وأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فى وصف الجنتين الأخريين وما فيهما ، ففيهما فاكهة ونخل ورمان ، وهناك خيرات كثيرة حسنة فى الجنة ، وقيل : هى المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه ، والحور مقصورة الطرف فى الخيام مخدرة ، وتلقى الخيام ظل البداوة ، فهو نعيم بدوى أو يمثل مطالب أهل البداوة ، ولم يفتضهن قبلهم إنس ولا جان .

أما أهل الجنتين فنحن ننظرهما متكئين على الأبسطة وكأنها من صنع عبقر لتقريب وصفها إلى العرب ، وقد كانوا ينسبون كل عجيب إلى وادى الجن : عبقر ، والتعقيب بعد كل صفة للجنتين ونعيمهما هنا وهناك ، بانتزاع الاعتراف بأنه لا يقدر أحد على إنكار نعم الله ، وفى ختام السورة

التى استعرضت آلاء الله فى الكون ، وآلاءه فى الخلق، وآلاءه فى الآخرة ، يجىء الإيقاع الأخير تسبيحا باسم الجليل الكريم ، الذى يفنى كل حى ويبقى وجهه الكريم أنسب ختام لسورة الرحمن .

سورة الواقعة

الواقعة اسم للسورة وبيان لموضوعها معا ، فالقضية الأولى التى تعالجها هى قضية النشأة الآخرة ردا على قول الشاكين فيها ، المشركين بالله ، المكذبين بالقرآن ، ومن ثم تبدأ السورة بوصف القيامة ، وصفها بصفتها التى تنهى كل قول ، وتقطع كل شك ، وتشعر بالجزم فى هذا الأمر .. الواقعة .

وهذا المطلع واضح فيه التهويل فى عرض هذا الحدث الهائل ، وهو يتبع أسلوبا خاصا يلحظ فيه هذا المعنى ، ويتناسق مع مدلولات العبارة ، فمرتين يبدأ بإذ الشرطية يذكر شرطها ولا يذكر جوابها ، ولا يقول : ماذا يكون إذا وقعت الواقعة وقعة صادقة ليس لها كاذبة ، وهى خافضة رافعة ، ولكن يبدأ حديثا جديدا ؛ فإذا حركت تحريكا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها وزلزلت زلزالًا ، ومرة أخرى لا يقول ماذا يكون إذا كان هذا الهول العظيم ، فكأنما هذا الهول كله مقدمة لا يذكر نتائجها ؛ لأن نتائجها أهول من أن يحيط بها اللفظ أو تعبر عنها العبارة .

ثم إن سقوط هذا الثقل ووقوعه كأنما يتوقع له الحس أرجحة ورجرجة يحدثها حين يقع ، ويلبى السياق هذا التوقع فيذكر أنها تخفض أقداراً كانت رفيعة فى الأرض ، وترفع أقداراً كانت خفيضة فى دار الفناء ، حيث تختل الاعتبارات والقيم ، ثم تستقيم فى ميزان الله ، ويتبدى الهول فى كيان الأرض فإذا هى ترج رجا ، ثم إذا الجبال الصلبة الراسية تتحول تحت وقع الواقعة إلى فتات يتطاير كالهباء ، وهكذا تبدأ السورة بما يزلزل الكيان البشرى تجاه القضية التى ينكرها المنكرون ويكذب بها المشركون .

وينتهى هذا المشهد الأول للواقعة لنشهد آثارها فى الخفض والرفع وفى أقدار البشر ومصائرهم الأخيرة ، ونجد الناس هنا أصنافا ثلاثة ، ويبدأ الحديث عن أصحاب الميمنة أو أصحاب اليمين، ولكنه لا يفصل عنهم الحديث إنما يصفهم باستفهام عنهم للتهويل والتضخيم، وكذلك يذكر أصحاب المشأمة بنفس الأسلوب ، ثم يذكر الفريق الثالث ، فريق السابقين ، يذكرهم فيصفهم بوصفهم كأنما ليقول إنهم هم هم وكفى ، فهو مقام لا يزيده الوصف شيئا .

ومن ثم يأخذ فى بيان قدرهم عند ربهم ، وتفصيل ما أعده من النعيم لهم ، وتعديد أنواعه التى يمكن أن يدركها حس المخاطبين، وتتناوله معارفهم وتجاربهم؛ إنه يبدأ فى بيان هذا النعيم، بالنعيم الأكبر النعيم الأسنى ، نعيم القرب من ربهم ، وجنان النعيم كلها لا تساوى ذلك التقريب ، ولا تعدل ذلك النصيب ، ومن ثم يقف عند هذه الدرجة ليقول من هم أصحابها ،